فلسفة الوعي بالشيء

أ.د. عقيل مهدي يوسف

يناقش تيري ايغلتن في كتابه: "مقدمة في النظرية الادبية" قضايا اشكالية تخص القوانين المفسرة لاشياء العالم. وياتي باستبصارات قيمة شكلت الموقف الفكري الحديث، للنظرية الادبية، وفلسفتها التي تخص "ازمة العلوم الاوربية" التي وظف "هوسرل" كتابه، تحت العنوان نفسه لبسطها، وتفكيك مكوناتها، لم يجد هوسرل وجوداً مستقلاً " للاشياء" بل انها "مفترضة " عن طريق وعينا وادراكنا، " في عملية التفكير ادرك ان فكري في هذه الحالة يشير إلى شيء". (ص ٦٤)
فالشعور بالنسبة له تصوير للعالم، وليس تسجيلا سلبيا له.
والفرد يقدم العالم الخارجي من خلال تصغير العالم، وبحجم مضامين شعوره وحده، هذا " التصغير الظاهراتي" لا يعنى باشياء غير ملائمة للشعور، ويتعامل مع ظاهرات مجردة من خلال مظهرها في عقولنا. وبذلك تلغى المعاناة الفردية التجريبية، ويجري لديه البحث عن الوعي بتراكيب العقل العميقة نفسها، فالمهم هو العقل، والظروف: (التي تجعل أي نوع من المعرفة ممكنا في المقام الاول" ص ٦٥ .
نظرية الوعي عند هوسرل، تقوم اذن على الابتعاد عن التجريبية والروح السايكولوجية التي تفسر الاحداث التاريخية، وتتوقف عند العمليات العقلية ، لتكشف تراكيب الوعي ذاته، والظاهرات نفسها، في محاولة لرفض الموضوعية حتى عن العلوم الطبيعية ، وكذلك استبداله للمعضلة الكانطية في عدم قدرة العقل على معرفة الاشياءالواقعة خارج حدوده، بان ما يدرك حسياً هو جوهر الاشياء وهذا ما يغنينا عن سواه.
هذا الايحاء بارتباط " الكينونة" بـ "المعنى" يؤدي إلى ان الشخص والشيء هما وجهان لعملة واحدة لانهما مرتبطان مع بعضها البعض، فلا وجود لاحدهما بمعزل عن الاخر.
هذا الحنين لجمع العقل والكون معاً، ضمن العقل ذاته هو " عزاء مناسب لمجتمع تبدو فيه الاشياء مغتربة ومفصولة عن الغايات البشرية ، والناس مغرورين في عزلة مقلقة". (ص ٦٦).
كان المعنى لدى هوسرل يسبق اللغة وهي نشاط ثانوي يسمي المعاني التي بحوزتنا! في حين نظر "فتيغنلشتاين" والمعاصرون بان اللغة تنتج المعنى، وحتى ان المعاني والخبرات فانها . أيضا . موجودة لدينا منذ البداية ، لاننا نمتلك اللغة الحاوية لهذه المعاني. وما نظنه فرديا ما هو في حقيقته سوى تجربة اجتماعية تاريخية بمعناها العميق. ان نظرة هوسرل "الماهوية" تتعارض مع نظرة (هيدجر) الذي قدم عليها (الوجود) فانتقل من رقعة الفكر النقي، إلى فلسفة تتامل ما تشعر بانه حي. (ص ٧٠) فالعالم ليس شيئا يمكن اذابته وتحويله إلى صورة ذهنية كالذي اعتقده هوسرل، بل انه كيان عصي على مشاريعنا، وان وجودنا هو جزء منه.
تخيل هوسرل موقعا متسيداً للذات المبهمة، التي تطبع صورتها على العالم، بينما ابعد هيدجر هذه الذات، فالوجود "الانساني هو حوار مع العالم، واكثر الفعاليات اجلالاً هو الاصغاء وليس الكلام" ص (٧٠).
فنحن نكتسب معرفتنا من طريق ارتباطنا بالعالم، وما النظرية سوى افكار تجريدية جزئية عن الاهتمامات الحقيقية، أي مثل "الفينومينولوجيا" مبحثه الفلسفي الاساس، بوصفه "علم اشكال الوعي وتامل الماهية والوجود الحق المطلق عامة".
وحاول تطبيق منهجه هذا في نظرية المعرفة، فحذف منها العياني والملموس في محاولة منه لدراسة بنية "الوعي المحض" تحليل "ظواهر" الوعي بما هو وعي. وهنا تختل العلاقة الموهومة التي اراد تكريسها ما بين الذات البشرية، والشيء (أو العالم بصفته الموضوعية " فيرجح من كفة الذات على حضور العالم. هذه الماهية الهوسرلية اعتبرها خصومها ضرباً من "المثالية" التي تتعارض مع طبيعة الفكر الواقعي، وانها شكل من اشكال الوعي البرجوازي ، الذي يعكس نسقاً خاصاً من المفاهيم البرجوازية العامة عن العالم وعن مكانة الإنسان ودوره وفق اساس نظري غير دقيق لرؤية العالم.

لماذا يفتري حسن العلوي على دار (المدى)؟

واحدة من خصال السيد حسن العلوي هي استثمار ماضيه الاعلامي وتسويق شخصه. لن نعترض على هذا، فذلك من شأنه وحده، لكن ان يفبرك روايات، ويخرج علينا بصورة مطالب بحقوق لاتعود اليه، ويسيء الى الآخرين، فهذا يستدعي التدخل وإيضاح الحقائق.
بالامس القريب ظهر السيد حسن العلوي على قناة الحرة ليدعي على دار المدى بانها لم تدفع حقوق نشر مؤلفات أخيه الراحل هادي العلوي.
لن نقول هنا ان حسن العلوي كذب على المشاهدين، فمن يعرف موقعه من تراث أخيه الراحل يرجح حالة أكثر تعقيداً من الكذب. لقد أراد الظهور مدافعا عن حقوق الراحل، في حين انه لا يمتلك أي موقع خاص، لا في هذه الحقوق ولا في الميراث الثقافي للراحل الكبير، بل ان موقعه من المسألتين هو موقع غير المؤتمن. فالراحل هادي العلوي خص صديقه فخري كريم شخصيا بمهمة تنفيذ الوصية التي كتبها بتاريخ ١٩٩٨/١/٢٠
في ما يأتي نص هذه الوصية:
((اولا: توزع حقوق التأليف لجميع مؤلفاتي في جميع دور النشر عدا دار الطليعة الجديدة فليس لي حقوق عليها وفق النسب الآتية:
٢٥٪ للحزب الشيوعي العراقي
٥٠٪ لزوجتي نبيهة فاضل سلمان
٢٥٪ لابن اخي عمر حسن سلمان العلوي
يتولى السيد فخري كريم تنفيذ هذه الوصية بعد وفاتي.
ثانيا: حقوق نشر وطباعة وتوزيع الكتب الآتية كاملة وبلا أمد محدود أمنحها لدار المدى للثقافة والنشر:
١- نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي
٢- في السياسة الاسلامية
٣- الاغتيال السياسي في الاسلام
٤- من قاموس التراث
٥- المنتخب من اللزوميات
٦- المستطرف الجديد
٧- المستطرف الصيني
٨- كتاب التاو
٩- شخصيات غير قلقة في الاسلام
١٠- فصول عن المرأة
١١- مدارات صوفية
١٢- ديوان الوجد
١٣- ديوان الهجاء
التوقيع
هادي العلوي
دمشق في ١٩٩٨/٤/٢٠
يمكن ان نلاحظ في هذه الوصية ان خيارات الفقيد الاخيرة مثلت أخلاقياته الأساسية، فهو لا يوزع ثروة مادية، وما من شيء امتلكه من ثروة غير الفكر والصداقة والعفة.
ازاء ذلك اسهمت ادارة دار المدى في ان تكون أرملة الفقيد هي المستفيد الوحيد، شعورا من الدار بأهمية أن تحظى بحياة لائقة وكريمة، وهو ما تكرس في العقد المبرم بين الدار بوصفها الطرف الثاني، وأرملة الفقيد بوصفها الطرف الأول من العقد. وفي ما يأتي نص هذا العقد المسمى بـ (عقد حقوق):
((بالاستناد الى الوصية التي كلفني بتنفيذها الفقيد العلوي والخاصة بمؤلفاته، و التنازل الشفهي من الطرفين الآخرين: الحزب الشيوعي العراقي وعمر العلوي عن حصتيهما، أقر بأن الفقيد الذي أوصى بنشر مؤلفاته في دار المدى تعود حقوق نشرها لزوجته السيدة نبيهة فاضل سلمان (أم حسن) وقد طلبت ان تقدم لها دار المدى للثقافة والنشر شهرياً عشرة آلاف ليرة سورية، مقابل حقوق النشر، بالاضافة الى ما تسلمته من دفعات، وقد باشرت بتسلم دفعات شهرية قدرها ثمانية آلاف ليرة شهرياً بدءاً من شهر شباط على ان تتسلم ابتداءً من شهر حزيران عشرة آلاف ليرة سورية، وعلى هذا الاساس نوقع نحن الطرفين هذا الاتفاق.
حرر هذا العقد ووقع في دمشق بتاريخ السادس والعشرين من شهر حزيران لعام ٢٠٠٢ على نسختين، احتفظ كل من الطرفين بواحدة منها.
الطرف الاول: نبيهة فاضل سلمان
الطرف الثاني: ادارة دار المدى للثقافة والنشر)).
وترجمة لهذا العقد تحتفظ دار المدى بدمشق بكشف بالدفعات المالية التي تم تسديدها الى أرملة الفقيد اثناء وجود الراحل في المشفى وبعد وفاته، وهو كالآتي:
٧٥٠٠٠ ليرة سورية بتاريخ ١٩٩٨/٩/٨
٤٠٠٠٠ ليرة سورية بتاريخ ١٩٩٩/٣/١٣
٥٠٠ دولار بتاريخ ١٩٩٩/٦/١٧
٥٠٠٠٠ ليرة سورية بتاريخ ٢٠٠٠/١٢/١٣
١٠٠٠ دولار بتاريخ ٢٠٠٠/٩/١٢
٢٠٠٠٠ ليرة سورية بتاريخ ٢٠٠١/٥/٢٣
٥٠٠٠ ليرة سورية بتاريخ ٢٠٠١/١٢/٨
٨٠٠٠ ليرة سورية شهريا ابتداء من الشهر الاول الى الخامس من عام ٢٠٠٢ أي ما مجموعه ٤٠ الف ليرة سورية.
١٠٠٠٠ ليرة سورية شهريا ابتداءً من الشهر السادس ٢٠٠٢ حتى تاريخ اليوم، أي ما مجموعه ٣١٠٠٠٠ آلاف ليرة سورية.
فضلا عن ذلك ثمة اقرار من أرملة الفقيد حرر في دمشق بتاريخ ٢٠٠٥/٢/٢٠، وهذا هو نصه:
((الى من يهمه الامر
أنا الموقعة في أدناه، نبيهة فاضل سلمان أرملة الراحل هادي العلوي، أقر بأنني بدأت أتسلم من دار المدى للثقافة والنشر منذ تاريخ شباط ٢٠٠١م مبلغاً قدره ثمانية آلاف ليرة سورية وبصورة شهرية استمرت الى تاريخ ٢٠٠٢/٢/٢٦م حيث أصبح المبلغ عشرة آلاف ليرة سورية أتسلمها شهرياً حتى الآن من دار المدى لقاء حقوق نشر وطبع مؤلفات زوجي الراحل هادي العلوي.. دمشق في ٢٠٠٥/٢/٢٠)).
تمتلك دار المدى الحقائق، فما الذي يمتلكه السيد حسن العلوي؟ لاشيء غير حس متضخم بمشكلته الخاصة من ميراث أخيه الراحل، والا فليدلنا على أية مساعدة قدمها لعائلة الفقيد، وأين يقف من وصية راحل ربط دائماً انتاجه الفكري بالتطلعات الديمقراطية لشعبنا العظيم؟
تنأى دار المدى بنفسها عن المهاترات، لكن حسن العلوي الذي لم يسيطر على لا وعيه كعادته، أساء إلى سمعة دار المدى مما يضطرها، إن لم يقدم اعتذاراً عن تصريحاته ويسحبها، الى مقاضاته ومقاضاة قناة الحرة.

دار المدى

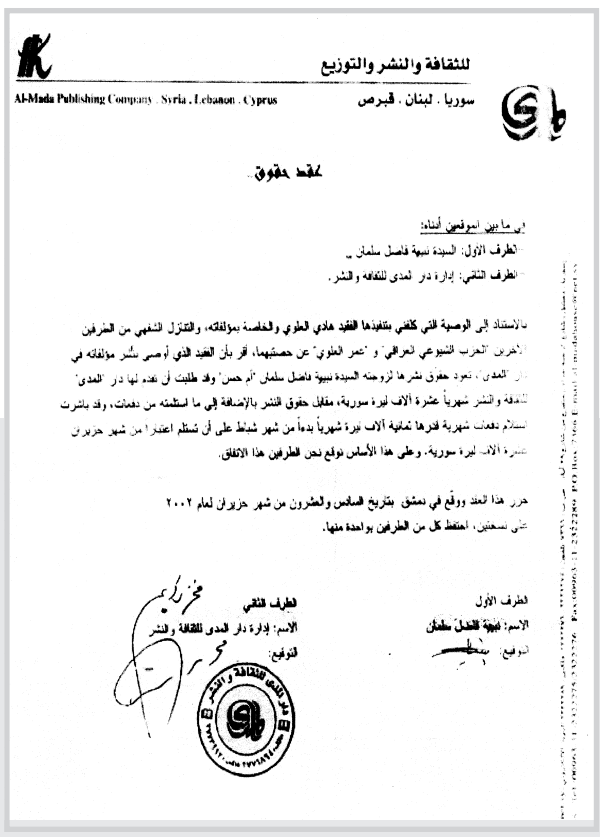
عقد حقوق

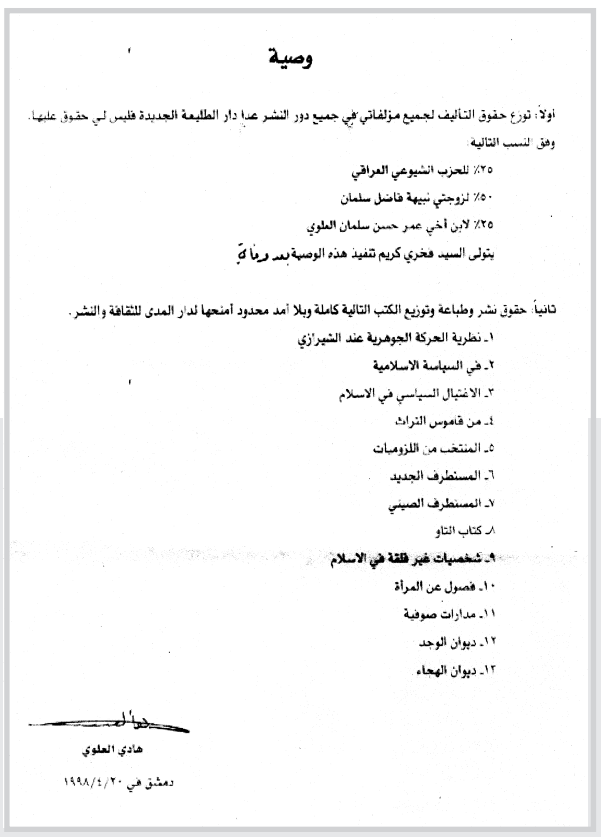
وصية الراحل هادي العلوي

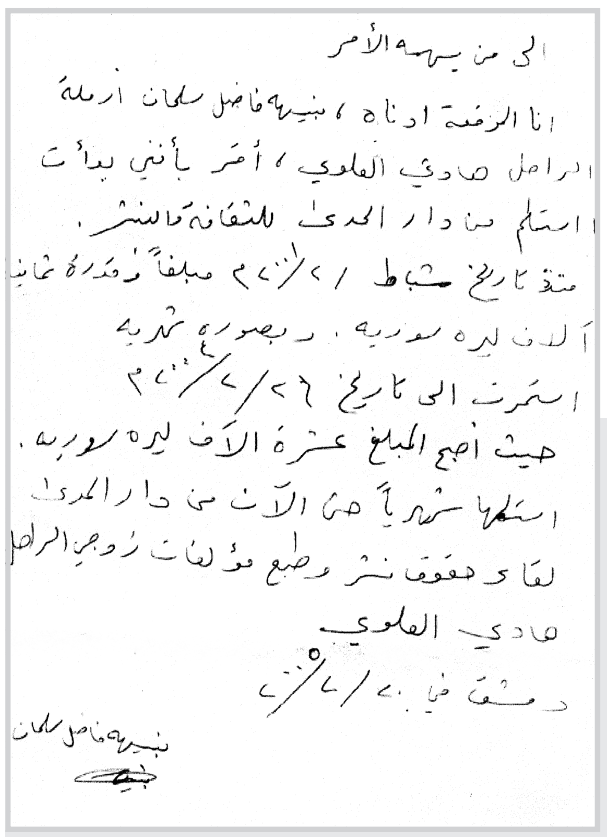
اقرار من زوجة الراحل

مشروعات عزيز السيد جاسم
من برغماتية الثقافة إلى برغماتية الفكر

د. رياض الاسدي

ليس ثمة شخصية مثيرة للجدل السياسي، والفكري كالمفكر والكاتب العراقي عزيز السيد جاسم الذي اغنى المكتبة العراقية والعربية بعشرات الكتب ومن مختلف المشارب والاختصاصات، ولعل النهاية المروعة التي ال اليها هذا المفكر في العهد الدكتاتوري السابق بعد عام ١٩٩١ وما تعرض له من سجن واضطهاد واحد من ابشع المظاهر التي تعرض لها رجال الثقافة والفكر والعلم في العراق، وعلى مدى عقود طويلة من الارهاب والعنت والموت المجاني غالباً.
ويبدو ان السلوك الثقافي والشخصي لعزيز السيد جاسم مثار اهتمام ليس للمعنيين بالثقافة العراقية فحسب، بل كل اولئك الذين يدرسون علم الاجتماع من الناحية السياسية والثقافية أيضاً. ظهر الكاتب العراقي عزيز السيد جاسم اديبا في البداية من حياته، فقد نشر كتابا في "ملامح الادب الحديث" حول اهم المدارس النقدية الادبية في العالم المتعلقة بالادب الحديث وتناول فيه معظم الاتجاهات الادبية المعاصرة في محاولة لرسم خريطة خاصة وجديدة. كما كان الكاتب قد مارس العمل الصحافي في عقد الستينيات من القرن الماضي مما اكساه على العموم قدرات كتابية مختلفة، وبقيت تلك الصفة لصيقة به حتى السنوات الاخيرة من حياته.
وكانت الصحافة قد القت بظلالها على معظم النتاج السياسي والفكري والثقافي الذي عرف به السيد جاسم بعد ذلك.
ولذلك تجد ان مشروعات عزيز الفكرية لم تنصب على جانب واحد من الحياة الثقافية العراقية أو العربية، وهو كما عرفناه، رجل دؤوب ، دائم البحث ، كثير التامل لعمله ، شديد الملاحظة " عامل ثقافة وفكر لا يمل ولا يكل" سريع في الوقت نفسه، وكان من يركض وراءه لانجاز عمله، يذكرنا كثيرا بمثقفي مصر في بواكير النهضة الثقافية في الاربعينيات من القرن الماضي. لكنه على نحو خاص كان سريع التنفيذ لمشروعاته بشكل لافت للنظر، حتى بدأ وكانه من اولئك البنائين القدماء الذين لم يتركوا مهنة في العمارة والعلو الا ومارسوها بغض النظر عما إذا كانوا من المجيدين فيها أم من اولئك الذين يريدون وضع بصمة هنا أو لطخة هناك. المهم هو اسم: عزيز السيد جاسم: وهذا حق مشروع لكل كاتب أيضاً... بيد ان غياب المنهجية والتوزع الفكري والثقافي الواسعين على هذا النحو قد افقد الكاتب كثيرا من تالقه الذي بدأ به.
ركب عزيز معظم الموجات الثقافية التي عاصرته بلا تخطيط عميق أحيانا وبلا حنكة غالبا اذ تركته صفة التامل احيانا التامل العميق للمشروع الاكبر، فالرجل ما ان تستحوذ عليه فجأة "فكرة مشروع ثقافي" حتى يعمل مباشرة على تنفيذها فورا بغض النظر عما إذا كانت تلك الفكرة من ضمن توجهاته العامة السابقة ، أم هي من ضمن مشروعه العام، ومن هنا فقد جاءت التوجهات "البرغماتية العزيزية" حيث ركوب الموجة بانتظار تحقيق نجاح ما هنا أو هناك أو اثارة زوبعة على الطريق، ومن ثم التطلع إلى ما بعد ذلك، حتى اصبحت التوجهات الاولى محض ذكرى غائبة، وهذه الظاهرة حولت عزيز السيد جاسم اقرب إلى الباحثين "الانسكلوبيديين الاول" في دائرة محدودة متاحة لهم غالبا. ولو ان عزيز السيد جاسم قد خلق في مجتمع ليبرالي اخر غير العراق . على سبيل المثال . لاصبح مشروعه الثقافي أكثر توازنا واشد عمقا، ولاختفت نسبيا الروح البرغماتية الاولى التي جللته من البداية إلى النهاية ومن هنا فقد تنوع النتاج الفكري والثقافي لعزيز السيد جاسم وكما ياتي:
١- مشروع ادبي ناقص في النقد والرواية: رواية "بابل" التي حاول ان يلخص فيها بعض التجارب السياسية له أو لغيره وكذلك "ملامح الادب الحديث" الذي يعد مشروعا في ملاحقة النقد غير متكامل ، وهو اقرب إلى الاعداد الثقافي منه إلى التحليل المنهجي. ويمكننا ان نطلق عليه المشروع الادبي.
٢- مشروع في الفكر السياسي: ويقسم على العموم إلى شقين اساسيين: تمثل الاول في عرض ونقد الفكر الماركسي حيث يعد عزيز السيد جاسم من خيرة قراء الماركسية . اللينينية وما تبعها على العموم من مدارس فكرية متعددة كمحاولات لتفسيرها أو الاضافة اليها. وهكذا كان عزيز السيد جاسم قد بدأ مشروعاته السياسية من وجهة نظر قلقة وغير دقيقة أيضاً ولم يستطع على العموم ان يقدم للقارئ المتابع له أي امكانية في تكوين صورة واضحة عن منهجيته السياسية والفكرية في آن . ويمكننا ان نجد كتاباته تلك في "الثورة الناقصة" وفصول من سفره الطويل "مسائل مرحلية في النضال العربي" على سبيل المثال.
٣- مشروع تعميق "فكر البعث العربي" الذي كان فكر السلطة الحاكمة انذاك ونتج هذا الوضع من خلال احتكاكه بعبد الخالق السامرائي احد مثقفي البعث "شبه المتمركسين"، والذي صفي على يد النظام السابق في اثر الانقلاب الدموي الذي قاده صدام حسين ضد رفاق وكوادر حزبه عام ١٩٧٩ وما اعقبه من علامات استفهام حول شخصية عزيز السيد جاسم السياسية وارتباطاته الشخصية بعبد الخالق السامرائي حيث عملا معا في جريدة "وعي العمال" انذاك. ونتج عن ذلك المشروع ان قام عزيز باصدار سلسلة من الكتابات السياسية التي حاولت ان تضفي طابعا ماركسيا شفيفا عليها "انظر كراسه حول دور الطبقة العاملة" ثم عمله المستمر في اصدار كراسات حول "الانتهازية" و "الوصولية" وفي افكار اقرب إلى التجربة الشخصية غير الواعية جيدا ثم "اجراس الوحدة والحرية والاشتراكية" ودور العمال في الدولة القومية العربية القادمة!! فاقتربت تلك الكتابات في رؤاها من طروحات المفكر القومي " مسعود الشابي" تارة وكذلك من البرنامج الذي اصدرته الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين "جورج حبش" تارة اخرى والذي تضمن طروحات عائمة حول "البروليتاريا العربية" التي افضت بعد ذلك إلى تأسيس ما عرف بحزب العمل العربي " الماركسي القومي" .
٤- مشروع كتابة التاريخ السياسي: وجاء هذا المشروع بعد اطاحة النظام السابق بالعناصر التي تحمل قدرا من المعرفة والثقافة السياسيتين في حزب السلطة بعد الانقلاب الشهير لصدام حسين من امثال منيف الرزاز وعبد الخالق السامرائي وهم على العموم قلة لا يمكن الاعتداد بها. ولذلك فقد اهتبل عزيز السيد جاسم فكرة توجه كراس صدام حسين حول ما عرف بـ (اعادة كتابة التاريخ) وكان خير نتاج له هو: (جدل الامة والطبقة) الذي حاول فيه ان يجد تلك العلاقة العضوية بين الامم والطبقات اذ من الصعب قيام هكذا طروحة فكرية منطقيا لان الطبقات مسالة فكرية اممية شاملة والامم قضية تحتمل كثيرا من الخصوصية الجغرافية ومحدودية الرؤى عموما. وبغض النظر عن القيمة العلمية التي الت اليها تلك البحوث "السريعة" و "قليلة التأمل" الا انها تعكس تماما التوجه الذي كانت عليه الدولة البعثية الفاشية انذاك. ثم توالى نتاج التحليل التاريخي والتوجه العام للدولة متمثلا بسرد حياة الخلفاء الاربعة ، وانتهت بكتاب عزيز السيد جاسم سيئ الصيت "عملاق الرافدين" الذي جسد "الاهمية التاريخية الضرورية" لطروحة "القائد الملهم صدام" وما تبع ذلك من انحطاط فكري وثقافي مروعين لا يمكن تبريرهما بأي حال من الاحوال سوى بركون الكاتب إلى نوع من البرغماتية الغريبة التي اصبحت اقرب إلى الانتهازية العلنية البائسة والصغيرة وغير المجدية لكاتب بدأ متماسكاً إلى حد ما.
٥- مشروعات آنية: وهي كتب تناولت احداثا بعينها، وربما كتبت للاستهلاك التجاري بالدرجة الاساس، ومن امثلة ذلك (من قتل جمال عبد الناصر؟) ويقع الكاتب في احابيل نظرية المؤامرة وهو على العموم لا يضيف إلى الحقائق التاريخية شيئا مهما، ولا يكشف عن اي مستور أيضاً.
ان النتاج الادبي والفكري الذي اصدره المفكر العراقي عزيز السيد جاسم على الرغم من تنوعه يعد بداية علامة مهمة على دراسة مرحلة ثقافية كاملة حملت من التناقضات والصعوبات ما يكفي. كما انها تترجم على نحو خاص علاقة المثقف بالسلطة السياسية ، واصطراع كلا السلطتين: المعرفة والعمل، ومن المبكر جدا في هذه المدة الحكم على القيمة التاريخية لذلك النتاج الكبير والمتنوع للكاتب والمفكر العراقي عزيز السيد جاسم. وان وصف البرغماتية ما هو في مضمونه الا مقاربة اولية لفهم ذلك الكم الهائل من الكتابات المختلفة ذات التوجهات شبه المتناقضة أحيانا. ولا يمكننا . على العموم . في هذه العجالة ان نطلق حكما نهائيا على كتابات جاوزت . حسب علمنا واحصائنا . الستين كتابا فضلا عن عدد اكبر من المقالات والتحليلات والمتابعات الثقافية والسياسية.
ومن المفيد في هذا المقام ان نذكر بان حملات دولية قد اتت اكلها لإطلاق سراح مفكرين كثيرين في العالم، لكن احدا لم يفعل ما يتوجب فعله لإطلاق سراح عزيز السيد جاسم في حينه، ومن الصعب معرفة سبب ذلك في الوقت الحاضر، ولكن بعض اذاعات المعارضة العراقية ، في الخارج انذاك لم تكشف حملتها الاعلامية لتطوير قضية الإفراج عن المفكر والمثقف العراقي عزيز السيد جاسم وهو في اسوا حالاته الصحية في سجن الطاغية لتكون واحدة من قضايا حرية الفكر في الانظمة الدكتاتورية. .. ويعود سبب ذلك . من وجهة نظري . إلى عدم وقوف جهة ما، أو مجموعة ثقافية يمكن ان تكون وسيلة للدفاع عن حرية عزيز ، وربما عاد ذلك إلى موقفه عموما من النظام السياسي الفاشي انذاك حتى بات المثل العربي القائل: على نفسها جنت براقش اقرب إلى الحالة التي كان عليها المفكر الكبير عزيز السيد جاسم في رفضه الاخير لكل توجهات النظام الدموية التي كلفته في النهاية حياته العزيزة. وتلك من المشكلات التي تواجه المثقف في العالم العربي وعلاقته بالسلطة على العموم، هكذا قضى عزيز السيد جاسم اواخر سنيه في السجن الصدامي دون ان يعبأ الرأي العام العالمي والعربي به وتلك قضية كبرى لحقوق الإنسان عموما لم تاخذ ما يكفي من مساحة مناسبة على الخارطة الثقافية العراقية والعربية على حد سواء، وبعد ان اكتشف السيد جاسم التناقض الصارخ والقاتل بين ما يكتب وما يؤمن به كانسان.

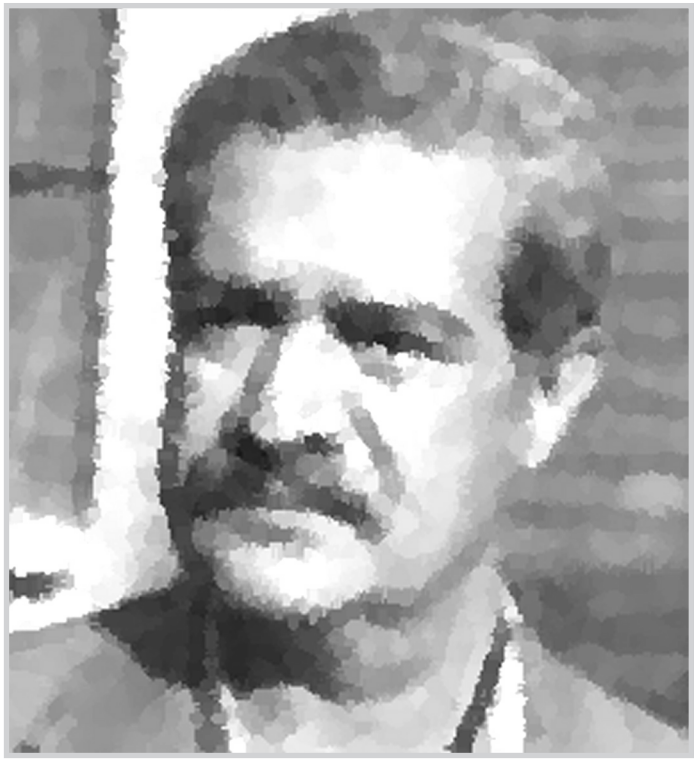
عزيز السيد جاسم